THE BOOK WAS DRENCHED



هى مجموعة قصائد مختارة من عيون الشعر وغرة
فى جبين القريض من نظم أمير الشعراء
احمد شوقى بك

« عنى بجمعه ونشره »
توفيق الرافعى

« الطبعة الأولى »

١٣٤١ – ١٩٢٣

يطلب من
ادارة مكتبة ومطبعة النهضة
بشارع عبد العزيز بمصر

المطبعة الرحمانية
بالخرنفش بمصر رقم ٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صفوة الانبياء والمرسلين وبعد فلا مشاحة فى أن لدولة الأدب القدح المعلى فى وضع دعائم نهضات الأمم وبناء صروح المجد ونشر آيات البيان .

ولا مشاحة فى ان أمراء القول وملوك القريض هم خير من حمل الوية قيادة الشعوب . يؤكد لك هذا أو يجعله مرتكزاً فى مقر التصديق منك أول نظرة تلقيها على صفحة من صفحات التاريخ فى تاريخ حماة البطولة .

ولا مرية فى أننا نحن الشرقيين الآن فى ابان نهضتنا ودور انتقالنا المبارك نحتاج الى الاسترشاد بآراء رجال الرأى وبعد النظر ممن حنكتهم سن أو ثقف عقولهم نافع علم ، حتى نأمن العثار فى سيرنا ونكون فى مأمن من الزلل وعلى بصيرة فى العمل بعيدين عن الغرور بنشوة التغلب على جيوش الجهل والنصرة على دسائس المفسدين .

ولا خلاف فى أن حضرة صاحب السعادة « احمد شوقى بك » سيد من قصَّد القصيد فى زماننا ، فأتى بالمعجزات الباهرات والآيات البينات فهو بحق أمير الشعراء ورافع شارة الخطباء

لهذا عنّ لنا أن ننشر له بعض قصائد من شعره هن عيون الشعر وغرة فى جبين القريض ، ويقيننا انه يحل أسمى محل من نفوس القراء فقد يجد فيه الأديب والمتأدب ضروبا من الآداب العربية والأفكار العصرية كما يجد فيه الحكيم عبرة وعظة نافعة والسياسى آراء فى السياسة صائبة وأنواعا من الدهاء مختلفة

وغنى عن البيان أن شوقى بك بالنسبة لعصره المتحضر ، وامتلاء أيامه بالحوادث الجسام ، وما أثر في نفسه مما رأى فى الشرق والغرب وما وقف عليه من تاريخ الأقدمين ، وآثار الغابرين ، وأمور الحاضرين ، وما طبع عليه من النبوغ والعبقرية ، جعلته فى منزلة فوق منزلة غيره من معاصريه

وقد اخترنا أن نسمى كتابنا هذا « كرمة بن هانئ » اقتداء بأميرنا فى تسمية بيته فى مطرية الزيتون بهذا الاسم

أجل أن شوقي بك قد أطلق على بيته هذا الاسم وأنا لا نزال نجد روائح التواضع تعبق منه على انه لو أطلق على بيته ما يشير الى مقارنته بأبى عبادة البحترى لما كان مغالياً ، فان بين شعره وشعر أبى عبادة مناسبة كبرى هى ان قولهما السحر الحلال والسهل الممتنع .

هذا وقد كان فى نيتنا ان نذيل هذه المجموعة بفصل ننشئه فى المفاضلة بين ابن هانئ القديم وابن هانئ الحديث ، ولكن أعجلنا عن ذلك تشعب البحث فى هذا الموضوع والحاجة فى تناوله واتمامه الى وقت طويل لا نملكه اليوم ، والله المسئول أن يوفقنا الى ذلك فنضع فى هذا المعنى كتابا قائما بنفسه ليعلم القارئ صحة ماذهبنا اليه من تواضع شاعرنا في تسمية بيته واحقية اقترانه بأبي عبادة

وعلى الجملة أن مثلنا فى هذا الكتاب الذى نتقدم به الى القراء — كما قال ابن المقفع مثل من وجد فصوصاً وجواهر فأخذها ونسقها بوضعه كل شئ منها فى محله

فلا عمل لنا فيه الا اننا رتبناه وانتقينا مادته واخترنا قصائده فان أصبنا البغية وأدركنا الغاية ، فهذا ما كنا نصبو اليه ونكون بذلك قد خدمنا الأدب العربى بجمع ما تفرق وتأليف ماتشتت وان كان الفضل فى الأول والآخر في خدمته لشاعرنا العظيم « شوقى بك » فقد خدم الأدب العربي خدمة لاينقطع برها وعند الله والناس شكرها

وان كانت الاخرى فنكون قد نلنا أجر المجتهد ، والله ولى التوفيق

توفيق الرافعى

القاهرة فى مارس سنة ١٩٢٣



نهج البردة

« المليك المعظم مولانا الحاج عباس حلمى الثانى »

« مولاى »

« رأى الله لهذا العبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن »
« يعشى بنور العلَم الفرد المغفور له (البوصيرى) صاحب »
« القصيدة الشهيرة (بالبردة) فى مدح خير الانام عليه الصلاة »
« والسلام ، فنظمت هذه الكلمة التى أسأل الله وأرجو »
« من رسوله قبولها ، وجعلتها يا مولاى لحجتك المبرورة »
« (تذكارها — ١٣٢٧) كلما تناقل الناس أخبارها »

« عبدكم »
« شوقى »

رِيمٌ على القاع بين البان والعلم

أحل سفك دمى فى الأشهر الحرُمِ [1]

رمى القضاء بعينى جُؤذر [2] أسدًا

ياساكن القاع أدرك ساكن الأجمِ [3]

لما رنا حدثتنى النفس قائلة

ياويح جنبك بالسهم المصيب رُمى

جحدتها وكتمت السهم فى كبدى

جرح الأحبة عندي غير ذى ألمِ

رزقت أسمح ما في الناس من خلق

اذا رزقت التماس العذر فى الشيم

يالائمى فى هواه والهوى قدرٌ

لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلمِ

لقد أنلتك أذنًا غير واعية

ورب منتصت والقلب فى صمم

ياناعس الطرف لاذقت الهوى أبدًا

أسهرت مضناك فى حفظ الهوى فنم

---

(١) (الرئم) الظبى الخالص البياض (٢) (الجؤذر) ولد البقر الوحشية
(٣) (الاجم) جمع اجمة الشجر الكثير الملتف وهو مسكن الاسد

أفديك ألفاً ولا آلو الخيال فدًى
أغراك بالبخل من أغراه بالكرم
سرى فصادف جرحاً دامياً فأسا
ورب فضل على العشاق للحلُمُ
من الموائس[1] باناً بالرُّبى وقناً
اللاعبات بروحى السافحات دمى
السافرات كأمثال البدور ضحى
يغرن شمس الضحى بالحلى والعصم
القَاتِلاَتُ بأجفان بها سقم
وللمنية أسباب من السقم
العاثِرَاتُ بأَلباب الرجال وما
أقلن من عثرات الدَّلّ في الرَّسَم
المضرَماتُ[2] خدوداً أسفرت وَجلَتْ
عن فتنة تسلم الأكباد للضَّرَمْ
الحاملات لواء الحسن مختلفاً
أشكاله وهو فرد غير منقسم
من كل بيضاء أو سمراء زينتا
للعين والحسن فى الآرام كالعصم[3]

---

(١) (الموائس) جمع مائسة وهى المتبخترة (٢) (الضرم) اشتعال النار (٣) (العصم) هى بياض اليدين

يرعْن[1] للبصر السامى ومن عجب
اذا أشرن أسرن الليث بالعنم[2]

وضعت خدي وقسّمت الفؤاد رُبًى
يرتعن فى كُنُس[3] منه وفى أكَم[4]

يابنت ذى اللبد المحمي جانبه
ألقاك فى الغاب أم ألقاك فى الأُطُم[5]

ما كنت أعلم حتى عنّ[6] مسكنه
أن المنى والمنايا مضرب الخيم

من أنبت الغصن من صمصامةٍ[7] ذكر
وأخرج الرِّيمَ من ضرغامةٍ[8] قرم[9]

بيني وبينك من سمر القنا حجب
ومثلها عفة عذرية العِصَم[10]

لم أغش مغناك إلا فى غضون كرًى
مغناك أبعد للمشتاق من إرَم

---

(١) (يرعن) يخفن (٢) (العنم) شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة (٣) (الكنس) هو مستقر الظباء فى الشجر (٤) (الاكم) جمع اكمة وهى الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله (٥) (الاطم) القصر وكل حصن مبنى بالحجارة (٦) عن الشىء بان وظهر (٧) (الصمصامة) السيف (٨) (الضرغامة) الاسد (٩) (القرم) شديد الشهوة الى اللحم وهى هنا كناية عن شدة البأس والافتراس (١٠) (العصم) جمع عصمة وهى المنع والحفظ

يانفس دنياكِ تخفى كل مبكية
وان بدا لك منها حسن مُبتسم

فضى بتقواكِ فاهاً كلما ضحكت
كما يفض أذى الرُّقْشَاء[1] بالثَرَم[2]

مخطوبة منذ كان الناس خاطبة
من أول الدهر لم تُرْمِلْ ولم تئم[3]

يفنى الزمان ويبقى من إساءتها
جرح بآدم يبكى منه فى الأَدَم[4]

لا تحفلى بجناها أو جنايتها
الموت بالزهر مثل الموتِ بالفحم

كم نائم لا يراها وهى ساهرة
لولا الأمانيّ والاحلام لم ينم

طوراً تمدك فى نعمى وعافية
وتارة فى قرار البؤس والوَصَم[5]

كم ضَلَلَتْكَ ومن تحجب بصيرته
إن يَلْقَ صاباً[6] يرد أو علقماً يَسُم

---

(١) (الرقشاء) من الحيات المنقطة بالسواد والبياض (٢) (الثرم) كسر السن من اصلها (٣) الايم التى لا زوج لها (٤) الادم الجلد (٥) « الوصم » بالتحريك الالم والمرض (٦) « الصاب » شجر مر

يا ويلتاه لنفسى راعها ودَهـا [١]
مسودة الصُحْفِ فى مبيضة اللمَمِ [٢]
ركَضتُها فى مريع المعصيات وما
أخذت من حمية الطاعات للتخَم
هامت على أثر اللذات تطلبهـا
والنفس ان يَدْعها داعى الصبا تهم
صلاح أمرك للاخلاق مرجعـه
فقوم النفس بالاخــلاق تستقم
والنفس من خيرها فى خير عافية
والنفس من شرها فى مرتع وخم
تطغى اذا مكنت من لذةٍ وهوى
طغى الجياد إذا عضت على الشكم
ان جَلّ ذنبي عن الغفران لى أمل
فى الله يجعلنى فى خــير معتصم
ألقى رجائى إذا عز المجــير على
مفرج الكرب فى الدارين والغمم
اذا خفضت جنـاح الذل أسأله
عِزَّ الشفاعة لم أسأل سوىّ أَمَمٍ [٣]

---

(١) « دها » أى دهاها (٢) « اللمم » جمع لمة وهى الشعر يجاور شحمة
(٣) « الامم » اليسير

وان تقــدم ذو تقوى بصالحــة
قدمت بين يديه عــبرة النــدم
لزمت باب أمير الانبيــاء ومن
يُمْسِكْ بمفتاح باب الله يغتنم
فــكل فضــل وإحسان وعارفةٍ
ما بين مستلم منـــه وملتزم
علقت من مدحــه حبلا أَعز به
فى يومَ لاعز بالانساب واللّحم [1]
يزرى قريضى زهيرا حين أمدحه
ولا يقاس إلى جودى ندى هَرِم
محمدٌ صفوة الهــادى ورحمتــه
وبغيـــة الله من خلق ومن نسمِ
وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة
متى الورود وجبريل الامين ظمى
سناؤه وسناه الشمسُ طالعة
فالجرم فى فلك والضوء فى علم
قد أخطأ النجم ما نالت أبوته
من سؤدد باذخ فى مظهر ســـم

(١) « اللحم » جمع لحمة وهى القرابة

نمُوا اليــه فزادوا فى الورى شرفا
ورب أصــل لفرع فى الفخار نمى
حواه فى سبحات الطهر قبلهــم
نوران قاما مقــام الصلب والرحم
لمــا رآه بحيرا قال نعرفه
بمـا حفظنا من الاسماء والسيم
سائل حِرَاء وروح القدس هل عَلِما
مصون سر عن الادراك منكم
كم جيئــةٍ وذهاب شرفت بهما
بطحاء مكة فى الاِصْبَاحِ والْغَسَم [1]
ووحشــة لاُبن عبــد الله بينهما
أشهى من الأنس بالأحباب والحشم
يسامر الوحى فيهــا قبل مهبطه
ومن يبشر بسيما الخــير يتسم
لمــا دعا الصحب يستسقون من ظمأ
فاضت يداك من التسنيم بالسنم [2]
وظللته فصارت تستظل به
غمــامة جذبتها خــيرة الديم

---

(١) (الغسم) الامساء وظلمة الليل (٢) (التسنيم) ماء بالجنة يجرى فوق الغرف وسنم الاناء تسنيما ملأه

محبه لرسول الله أشربها
قعائد الدير والرهبان فى القمم
إن الشمائل إن رقت يكاد بها
يغرى الجماد ويغرى كل ذى نسم
ونودى اقرأ تعالى الله قائلها
لم تتصل قبل من قيلت له بفم
هناك أذن للرحمن فامتلأت
أسماع مكة من قدسية النغم
فلا تسل عن قريش كيف حيرتها
وكيف نفرتها فى السهل والعلم
تساءلوا عن عظيم قد ألم بهم
رمى المشايخ والولدان باللمم [1]
يا جاهلين على الهادى ودعوته
هل تجهلون مكان الصادق العلم
لقبتموه أمين القوم فى صغر
وما الأمين على قول بمتهم
فاق البدور وفاق الأنبياء فكم
بالخلق والخلق من حسن ومن عظم

---

(١) (اللمم) حركة الجنون

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلالُ العتق والقدم

يكاد فى لفظة منه مشرفة
يوصيك بالحق والتقوى وبالرحم

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبةً
حديثك الشهد عند الذائق الفهم

حليت من عطل جيد البيان به
في كل منتثر فى حسن منتظم

بكل قول كريم أنت قائله
تحيي القلوب وتحيي ميّت الهمم

سرَت بشائر بالهادى ومولده
فى الشرق والغرب مسرى النور فى الظلم

تخطفت مهج الطاغين من عرب
وطيرت أنفس الباغين من عجم

ريعت لها شرف الايوان فانصدعت
من صدمة الحق لا من صدمة القدم

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام فى صنم

والارض مملوءة جوراً مسخرة
لكل طاغية فى الخلق محتكم
مسيطر الفرس يبغي فى رعيته
وقيصر الروم من كبر أصم عمى
يعذبان عباد الله فى شبه
ويذبحان كما ضحيت بالغنم
والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم
كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم (١)
أسرى بك الله ليلاً اذ ملائكه
والرسل في المسجد الاقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم
جبت السموات أو ما فوقهن بهم
على منورةٍ دريةِ اللجم
ركوبة لك من عز ومن شرف
لا في الجياد ولا في الأينُقِ الرُسُم

---

(١) (البلم) صغار السمك

مشيئة الخالق البارى وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم
حتى بلغت سماء لا يطار لها
على جناح ولا يسعى على قدم
وقيل كلُّ نبى عند رتبته
ويا محمد هذا العرش فاستلم
خططت للدين والدنيا علومهما
يا قارئ اللوح بل يا لامس القلم
أحطت بينهما بالسر وانكشفت
لك الخزائنُ من علم ومن حكم
وضاعف القرب ماقُلِّدْتَ من مِنَن
بلا عداد وما طوقت من نعم
سل عصبة الشرك حول الدار سائمة
لولا مطاردة المختار لم تسم
هل أبصروا الأثر الوضاء أم سمعوا
همس التسابيح والقرآن من أمم [1]
وهل تمثل نسج العنكبوت لهم
كالغاب والحائمات الزُّغْبُ كالرَّخَم [2]

(١) « من أمم » من قرب (٢) « الحائمات الزغب » الحمام

فاذ برُوا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق منهزم
لولا يدُ الله بالجارَينِ ماسلما
وعينه حولُ ركن الدين لم يقم
تواريا بجناح الله واستترا
ومن يضمَ جناحُ الله لايُضم
ياأحمدَ الخيرَ لى جاه بتسميتى
وكيف لا يتسامى بالرسولِ سَمِى
المادحونَ وأربابُ الهوى تبعٌ
لصاحب البردةالفيحاء ذى القَدَم
مديحه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم [1]
وإنما أنا بعضُ الغابطين ومن
يغبط وليك لايُذمم ولا يُلِم
هذا مقام من الرحمن مقتبس
ترمى مهابته سَحبَان بالبكَم

(١) العرم يريد المطر الشديد

البدر دونك فى حسن وفى شرف

والبحر دونك في خير وفى كرم

شم الجبال إذا طاولتها انخفضت

والانجم الزهر ماواسمتها تَسُم

والليث دونك بأساً عند وثبته

إذامشيت إلى شاكى السلاح كَمى (١)

تهفو اليك وإن أدميت حبتها

فى الحرب أفئدة الأبطال والبُهُم

محبة الله ألقاها وهيبتُه

على ابن آمنةٍ في كل مصطَدَم

كأن وجهك تحت النقع بدر دجىً

يضىء ملتثما أو غيرَ ملتثم

بدر تطلع فى بدر فغرته

كغرة النصر تجلو داجىَ الظلَم

ذكرتَ باليتم فى القرآن تكرمةً

وقيمة اللؤلؤ المكنون فى اليتُم

الله قسّم بين الناس رزقَهم

وأنت خيرت فى الأرزاق والقِسَم

---

(١) (الكمى) لابس السلاح

إن قلتَ فى الأمر لا أو قلت فيه نعم
خيرة الله فى لا منك أو نَعِمِ
أخوك عيسى دعا ميْتاً فقام له
وأنت أحييت أجيالا من الرِمَمِ
والجهل موتٌ فان أوتيت معجزة
فابعث من الجهل أو فابعث من الرجَمِ
قالوا غزوتَ ورسْل الله مابعِثوا
لقتل نفس ولا جاؤا لسفك دمِ
جهلٌ وتضليلُ أحلامٍ وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفواً كل ذى حسب
تكفل السيف بالجهال والعَمَمِ
والشر إن تلقه بالخير ضِقْتَ به
ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحَسِمِ
سل المسيحية السمحاء كم شربت
بالصاب من شهوات الظالم الغَلِمِ (١)
طريدة الشرك يؤذيها ويوسِعُها
فى كل حين قتالا ساطِع الحدَمِ (٢)

---

(١) الغلم الهائج الثائر الشهوة

(٢) « الحدم » بالتحريك شدة احتراق النار وحمها

لولا حماةٌ لها هبوا لنصرَتها

بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحُم (١)

لولا مكان لعيسى عند مرْسِلِه

وحرمة وجبت للروح فى القدَم

لَسمّرَ البدن الطهر الشريف على

لوحَيْن لم يخش مؤذيه ولم يجُم

جل المسيح وذاق الصلْبَ شانِئه

إِن العقاب بقدر الذنب والجرُم

أخو النبي وروح الله فى نزلٍ

فوق السماء ودون العرش محترم

علمتهم كل شىء يجهلون به

حتى القتال وما فيه من الذمم

دعوتهم لجهادٍ فيه سؤدَدُهم

والحرب أس نظام الكون والأمم

لولاه لم نر للدُولات فى زمن

ماطال من عُمد أوقرّ من دعَم

تلك الشواهد ترى كل آونة

فى الاعصر الغر لا فى الأعصر الدُهُم

---

(١) « الرحم » الرقة والمغفرة و التعطف

بالأمس مالت عروش واعتلت سررٌ

لولا القنابل لم تُثلم ولم تصَمِ

أشياع عيسى أعدوا كل قاصمة

ولم نعد سوى حالات منقصم

مهما دُعيتَ إلى الهيجاء قمت لها

ترمى بأسد ويرمى الله بالرُجم

على لوائكَ منهم كلُّ منتقم

لله مستقتل فى الله معتزم

مسبح للقاء الله مضطرمٍ

شوقاً على سابح كالبرق مضطرم

لو صادف الدهرَ يبغى نقلة فرى

بعزمه فى رحال الدهر لم يَرم

بيضٌ مفاليلُ من فعل الحروب بهم

من أسيف الله لا الهندية الخذُمِ

كم فى التراب إذا فتشت عن رجل

من مات بالعهد أو من مات بالقسَم

لولا مواهب فى بعض الأنام لما

تفاوت الناس فى الاقدار والقيم

شريعة لك فجرت العقول بها

عن زاخر بصنوف العلم ملتطم

يلوح حول سنا التوحيد جوهرها
كالحَلْى للسيف أو كالوشى للعلم[1]

سمحاء حامت عليها أنفسٌ ونهىً
ومن يجد سلسلاً من حكمة يحم

نور السبيل يساس العالمون بها
تكفلت بشباب الدهر والهرم

يجرى الزمان وأحكام الزمان على
حكم لها نافذٍ فى الخلق مرتسم

لما اعتلت دولة الاسلام واتسعت
مشت ممالكه فى نورها التمم

وعلمت أمة بالفقر نازلة
رعى القياصر بعد الشاء والنعم

كم شيَّدَ المصلحون العاملون بها
فى الشرق والغرب ملكا باذخ العظَم

للعلم والعدل والتمدين ماعزموا
من الأمور وما شدوا من الحزمِ

سرعانَ مافتحوا الدنيا لملتهم
وأنْهلوا الناسَ من سلْسالها الشبم[2]

---

(١) (الوشى) النقش . (٢) الشبم البارد

ساروا عليها هداة الناس فهي بهم
إلى الفلاح طريق واضح العظم
لا يهدم الدهر ركناً شاد عدلهم
وحائط البغي إن تلمسه ينهدم
نالوا السعادة في الدارين واجتمعوا
على عميم من الرضوان مقتسم
دع عنك روما وآثينا وما حوتا
كل اليواقيت في بغداد والتوم[1]
وخل كسري وإيواناً يدل به
هوى على أثر النيران والايم[2]
واترك رعمسيس إن الملك مظهره
في نهضة العدل لا في نهضة الهرم
دار الشرائع روما كلما ذكرت
دار السلام لها ألقت يد السلم
ما ضارعتها بياناً عند ملتئم
ولا حكتها قضاء عند مختصم
ولا احتوت في طراز من قياصرها
على رشيد ومأمون ومعتصم

---

(١) جمع تومة وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل العدسة (٢) (الايم) الدخان

من الذين إذا سارت كتائبهم
تصرفوا بحدود الأرض والتخم

ويجلسون إلى علم ومعرفة
فلا يدانون فى عقل ولا فَهم

يطأطئ العلماء الهام إن نبسوا
من هيبة العلم لا من هيبة الحكم

ويمطرون فما بالأرض من مَحل
ولا بمن بات فوق الأرض من عدم

خلائف الله جلُّوا عن موازنَة
فلا تقيسنَّ أملاك الورى بهم

من فى البرية كالفاروق مَعْدِلةً
وكابن عبد العزيز الخاشع الحشم

وكالامام إذا ما فضَّ مزدحماً
بمدمع فى مآقى القوم مزدحم

الزاخر العذب فى علم وفى أدب
والناصر النّدْب فى حرب وفى سلم

أو كابن عفان والقرآن فى يده
يحنو عليه كما تحنو على الفطم

ويجمع الآى ترتيبا وينظمها
عِقدًا بجيد الليالى غيرَ منفصم

جرحان فى كبد الاسلام ما التأما

جرح الشهيد وجرحٌ بالكتاب دَمِى

وما بلاء أبى بكر بمتهم

بعد الجلائل فى الأفعال والخِدم

بالحزم والعزم حاط الدين في محن

أضلت الحلم من كهل ومحتلم

وحدن بالراشد الفاروق عن رشدٍ

فى الموت وهو يقينٌ غير منبهم

يجادل القومَ مستلاً مهنده

في أعظم الرسل قدراً كيف لم يدم

لاتعذلوه إذا طاف الذهول به

مات الحبيب فضل الصب عن رغم

*
* *

يارب صل وسلم ماأردت على

نزيل عرشك خير الرسل كلهم

محيي الليالى صلاةً لايقطعُها

إلا بدمع من الاشفاق منسجم

مسبحاً لك جُنح الليل محتملا

ضرا من السهد أوضرا من الوَرَم

رضية نفسه لاتشتكى سأما
وما مع الحب إن أخلصت من سأم

وصل ربى على آل له نخب
جعلت فيهم لواء البيت والحرم

بيض الوجوه ووجه الدهر ذو حلك
شم الأنوف وأنف الحادثات حمى

وأهد خير صلاة منك أربعة
فى الصحب صحبتهم مرعية الحرم

الراكبين إذا نادي النبيُّ بهم
ماهال من جلل واشتد من عمم[1]

الصابرين ونفس الأرض واجفةٌ
الضاحكين إلى الأخطار والقُحم

يارب هبت شعوب من منيتها
واستيقظت أممٌ من رقدة العدم

سعد ونحس وملك أنت مالكه
تديل من نعم فيه ومن نقم

رأى قضاؤك فينا رأيَ حكمته
أكرم بوجهك من قاض ومنتقم

---

(١) (العمم) الحادث العمم الطويل كربه الشديد مشقته

فألطف لأجل رسول العالمين بنا

ولا تزدْ قومَه خَسفاً ولا تسُمِ

يارب أحسنتَ بَدءَ المسلمين به

فتمم الفضلَ وامنح حسن مختتمْ

الهمزيــة

«فى مدح سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم»

وُلدَ الهُـدَى فالـكائناتُ ضياءُ
وفمُ الزمانِ تبسمٌ وثنـــاء

(الروحُ) والملأُ الملائكُ حوله
للدين والدنيا به بشَرَاء

و (العرش) يزهو والحظيرة تزدهى
والمنتهى و (الســـدرة) العصماء

وحديقة (الفرقان) ضاحكةُ الربَى
بالترجمان شـــذية غناء

و (الوحى) يقطر سَلسَلاً من سَلسل
و (اللوح) و (القلم) البديع رُواء

نظمت أسامى الرسلِ فهى صحيفةٌ
فى (اللوح) واسم (محمد) طغراء

اسم الجلالة فى بديع حروفه
اسم هنالك واسم (طه) البـاء

***

ياخيرَ من جاء الوجود تحية
من مرسلين الى الهدَى بك جاؤا

بيت النبيين الذى لا يلتقى
الا الحنائفَ فيه والحنفاء

خير الابوّة حازهم لك (آدم)
دون الأنام وأحرزت حواء

هم أدركوا عز النبوة وانتهت
فيها اليك العزة القعساءُ

خُلقت لبيتك وهو مخلوق لها
ان العظائمَ كفؤها العظماء

بك بشّر اللّهُ السّماءَ فزُينت
وتضوعت مسكا بك الغبراء

وبدا محياك الذى قسماته
حق وغرته هدى وحياء

وعليه من نور النبوة رونق
ومن الخليل وهديه سِيماء

أثنى المسيحُ عليه خلف سمائه
وتهللت واهتزت (العذراء)

يوم يتيه على الزمان صباحهُ
ومساؤه (بمحمد) وضاء

الحق عالى الركن فيه مظفر
فى الملك لا يعلو عليه لواء

ذَعرت عروش الظالمين فزلزلت
وعلت على تيجانهم اصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم
خُمِدَتْ ذوائبها وغاض الماء
والآى تترى والخوارق جمةٌ
(جبريلُ) روّاح بها غدّاء
نعم اليتيم بدت مخايلُ فضله
واليتْمُ رزق بعضه وذكاء
فى المهد يُستسقى الحيا برجائه
وبقصده تُستدفع البأساء
بسوى الأمانة فى الصبا والصدق لم
يعرفه أهلُ الصدقِ والامناء
يا من له الأخلاق ما تهوى العلى
منها وما يتعشقُ الكبراء
لو لم تقم دنيا لقامت وحدها
دنيا تضىء بنوره الا ناء
زانتك فى الخلق العظيم شمائل
يغرى بهن ويولع الكرماء
أما الجمال فأنت شمس سمائه
وملاحة (الصديق) منك اياء

والحسن من كرم الوجوه وخيره
ما أوتي القواد والزعماء
واذا سخوتَ بلغت بالجود المدى
وفعلت ما لا تفعل الأنواء
واذا عفوت فقادراً ومقدرا
لا يستهين بعفوك الجهلاء
واذا رحمت فأنت أمٌ أو أبٌ
هذان في الدنيا هما الرحماء
واذا غضبتَ فانما هي غضبةٌ
في الحق لا ضغنٌ ولا بغضاء
واذا رضيت فذاك في مرضاته
ورضى الكثير تحلُّمٌ ورياء
واذا خطبتَ فللمنابر هزَّةٌ
تعرو النديَّ وللقلوب بكاء
واذا قضيت فلا ارتياب كأنما
جاء الخصومَ من السماء قضاء
واذا حميت الماء لم يورد ولو
أن القياصرَ والملوكَ ظماء
واذا أجرت فأنت بيت الله لم
يدخل عليه المستجيرُ عداء

واذا ملكت النفس قمت ببرها
ولو ان ما ملكت يداك الشاء

واذا بنيت لخير زوج عشرة
واذا ابتنيت فدونك الآباء

واذا صحبت رأى الوفاء مجسما
فى بردك الاصحاب والخلطاء

واذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء

واذا مشيت الى العدى فغضنفر
واذا جريت فانك النكباء

وتمد حلمك للسفيه مداريا
حتى يضيق بعرضك السفهاء

فى كل نفس من سطاك مهابة
ولكل نفس فى نداك رجاء

والرأى لم ينض المهند دونه
كالسيف لم تضرب به الآراء

***

يا أيها الأمى حسبك رتبة
فى العلم أن دانت بك العلماء

الذكرُ آية ربك الكبرى التى
فيها لباغى المعجزات غِناء
صدر البيان له اذا التقت اللغى
وتقدم البلغاء والفصحاء
نُسِخت به التوراة وهى وضيئة
وتخلف الانجيل وهو (ذَكاء)
لما تمشى فى الحجاز حكيمُه
قضتْ (عكاظ) به وقام (حِراء)
أزرى بمنطق أهله وبيانهم
وحيٌ يقصِّر دونه البلغاء
حسدوا فقالوا شاعر أو ساحر
ومن الحَسُود يكون الاستهزاء
قدنال (بالهادى) الكريم (وبالهدى)
مالمْ تنلْ من سؤدَدٍ سيناء
أمسى كأنك من جلالك أمة
وكأنه من انسه بيداء
يوحى اليك الفوزَ فى ظلماته
متتابعا تُجلى به الظلماء
دين يشيد آية فى آية
لبناته السورات والأضواء

الحق فيه هو الاساس وكيف لا
والله جلَّ جلالُه البناء
أما حديثك فى العقول فمشرعٌ
والعلم والحِكَم الغوالى الماء
هو صِبغة الفرقان نفحة قدسه
والسين من سوراته والراء
جرت الفصاحة من ينابيع النهى
من دَوْحه وتفجّر الانشاء
فى بحره للسابحين به لى
أدب الحياة وعلمها أرْسا
أتت الدهور على سُلافته ولم
تفن السُّلاف ولا سَلا الندماء

*
* *

بك يا (ابن عبدالله) قامت سمحةٌ
بالحق من مِلل الهدى غراء
بنيت على التوحيد وهو حقيقة
نادى بها سُقْراطُ والقدماء
وجدَ الزُّعافَ من السموم لأجلها
كالشهد ثم تتابع الشهداء

ومشي على وجه الزمان بنورها

كُهّان وادى النيل والعرفاء

ابزيس ذات الملك حين توحدت

أخذت قِوَامَ أمورها الأشياء

لمادعوت الناس لبى عاقل

واحم منك الجاهلين نداء

أبوا الخروج اليك من أوهامهم

والناس فى أوهامهم سجناء

ومن العقول جداولٌ وجلامدٌ

ومن النفوس حرائرٌ وإماء

داء الجماعة من ارسطاليس لم

يوصف له حتى أتيت دواء

فرسمت بعدك للعباد حكومة

لا سوقة فيها ولا امراء

الله فوق الخلق فيها وحده

والناس تحت لوائها اكفاء

والدين يسرٌ والخلافة بيعة

والأمر شورى والحقوقُ قضاء

الاشتراكيون أنت امامهم

لولا دعاوَى القوم والغلوَاء

داويت متئداً وداووا طفرة
واخف من بعض الدواء الداء

الحرب فى حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعاتِ دواء

والبر عندك ذمة وفريضة
لا مِنةٌ ممنونةٌ وحِباء

جاءت فوحدت الزكاةَ سبيله
حتى التقى الكرماء والبخلاء

أنصفتَ أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل فى حق الحياة سواء

فلو ان انسانا تخير ملة
ما اختار الا دينك الفقراء

يا أيها المسرِى به شرفاً الى
مالا تنال الشمس والجوزاء

يتساءلون وأنت أطهر هيكل
بالروح أم بالهيكل الاسراء

بهما سموتَ مطهرين كلاهما
نور وروحانية وبهاء

فضلٌ عليك لذى الجلالِ ومنةٌ
والله يفعل ما يرى ويشاء

تغشى الغيوب من العـوالم كلما
طويتْ سماء قـلدتك سماء
فى كل منطقة حواشى نورها
نُونٌ وأنت النقطة الزهراء
أنت الجمال بها وأنت المجتلَى
والـكف والمرآة والحسـناء
الله هيأ من حظيرة قدسه
نُزُلا لِذاتِك لم يَجزْهُ علاء
العرش تحتك سدة وقواعـا
ومناكب الروح الأمين وِطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم
حاشا لغيرك موعـدٌ ولقـاء

*
* *

الخيلُ تأبى غيرَ احمدَ حامياً
وبها اذا ذكر اسمه خُيَلاَء
شيخ الفوارس يعلمون مكانه
ان هيَّجتْ آسادَها الهيجاء
واذا تصـدى للظبى فمهنـد
أو للرماح فصعدةٌ سـمراء

واذا رمى عن قوسه فيمينه
قَدَرٌ وما ترمي اليمينُ قضاء

من كل داعي الحق همة سيفه
فلسيفه فى الراسيات مَضاء

ساقي الجريح ومطعمُ الاسرى ومن
امنت سَنابِكُ خيله الأشلاء

ان الشجاعة فى الرجال غلاظة
مالم يزنها رأفة وسخاء

والحرب من شرف الشعوب فان بغوا
فالمجد مما يدّعون براء

والحرب يبعثها القويُّ تجبراً
وينوء تحت بلائها الضعفاء

كم من غَزاةٍ للرسولِ كريمةٍ
فيها رضىً للحق أو اعلاء

كانت لجُندِ الله فيها شدة
فى إثرها للعالمين رخاء

ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها
فعلى الجهالة والضلال عَفاء

دَعَوْا على الحرب السلام وطالما
حَقَنَتْ دماءً فى الزمانِ دِماء

الحق عرض الله كلُّ أبيةٍ
بين النفوس حمى له ووفاء

هل كان حول (محمد) من قومه
الا صبيٌّ واحدٌ ونساء

فدعا فلبي فى القبائل عصبةٌ
مستضعفون قلائلٌ أنضاء

ردوا ببأس العزم عنه من الأذى
ما لا ترد الصخرة الصماء

والحق والايمان ان صبا على
بردٍ فيه كتيبةٌ خرساء

نفوا بناء الشرك فهو خرائبٌ
واستأصلوا الأصنامَ فهى هباء

يمشون تغضى الأرض منهم هيبة
وبهم حيال نعيمها أغضاء

حتى اذا فُتِحَت لهم أطرافها
لم يطغهم ترف ولا نعماء

*
* *

يامن له عِزُّ الشفاعة وحده
وهو المنزه ماله شُفَعاء

عرش القيامةِ أنت تحت لوائه
والحوض أنت حياله السقّاء

تروي وتسقى الصالحين ثوابهم
والصـــالحات ذخائر وجزاء

ألمِثْلِ هذا ذقت فى الدنيا الطوى
وانشق من خَلِقٍ عليك رِداء

لى فى مديحك يا رسول عرَائسٌ
تيمن فيك وشاقهن جــلاء

هن الحِسان فان قبلت تكرما
فمهورهن شـفاعة حســناء

أنت الذي نظمَ البرية دينُه
ماذا يقول وينظِم الشـعراء

المصلحون أصابع جمعت يدا
هى أنت بل أنت اليد البيضاء

ما جئت بابَكَ مادِحاً بل داعياً
ومن المـــديح تضرُّعٌ ودعاء

أدعوك عن قومى الضعاف لازمةٍ
فى مثلها يلقى عليك رجاء

أدَرَى رسول الله أن نفوسَهم
رَكِبتْ هواها والقلوب هواء

متفككون فما تضم نفوسهم

ثقةً ولا جمع القلوبَ صفاء

رَقدوا وغرهموا نعيم باطل

ونعيم قومٍ في القيودِ بلاء

* * *

ظلموا شريعتك التى نلنا بها

مالم ينل فى (رومة) الفقهاء

مشت الحضارة فى سَناها واهتدى

فى الدين والدنيا بها السعداء

صلى عليك الله ماصحب الدجى

حادٍ وحنت بالفلاَ وَجناء

واستقبل الرضوانُ فى غرفاتِهم

بجنانِ عدنٍ آلكَ السمحاء

خير الوسائل من يقع منهم على

سببٍ اليك فحسبىَ (الزهراء)

ذكرى المولد

به هجرٌ يتيمه كلا جفنيك يعلمه
هما كادا لمهجته ومنك الكيد معظمه
تعذبه بسحرهما وتُوجِدُهُ وتعدِمهُ
فلا هاروتَ رق له ولا ماروتَ يرحمه
وتظلمه فلا يشكو الى من ليس يظلمه
أسرَّ فمات كتمانا وباحَ نخانه فمه
فويح المدنف المعمود حتى ألبثَ يحرمه
طويل الليل ترحمه هواتفه وأنجمه
اذا جد الغرام به (جرى فى دمعه دمه)
يكاد لعهده أبداً يعادى السقم يسقمه
ثنى الاعناق عوده وألقى العذرَ لومهُ
قضيٍ عشقاً سوى رمق اليك غدا يقدمه
عسى ان قيل مات هوى تقول الله يرحمه
فتحيا فى مراقدها بلفظ منك أعظمهُ

* * *

بروحى البان يوم رَنا عن القدور اعصمه
ويوم طعنت من غصن معلمه منعمه

قضاء الله نظرته ولطف الله مبسمه
رمى فاستهدفت كبدى بى الرامى وأسهمه
له من أضلعى قاعٌ ومن عجب يسلمه
ومن قلبى وحبته كناسٌ بات يهدمه
غزال فى يديه التيـــــه بين الغيد يقسمه
كأن أباه مر (باحمـــــد الهادى) يكلمه

***

نبى البر والتقوى منار الحق مطلعه
معانى (اللوح) أشرفها رسالته ومقدمه
له فى الرسل أكرمهم عريق الأصل اكرمه
(خليل) الله معدنه فكيف بزيف درهمه
ابوة سؤددٍ أخذت بقرن الشمس نزحمه
(ذبيحيون) كلهـم أمير البيت قيمه
تلاقوا فيه اطهــاراً بسيماهم تسومه
فنعم الغمد آمنــةٌ ونعم السيف لهذمه
سرى فى طهر هيكلها كسرى المسك يفعمه
يتيما فى غلائلها تعالى الله موتمه
تزف الآى محمله الى الدنيا وتقدمه
ويمشى نور (احمد) فى ظلام الجهل يهزمه
وفى النيران يخمدها وفى الايوان يثلمه

وفى المعوج من دين ومن دنيا يقومه
فلما تم من طُهُر ومن شرف تقسّمه

***

تجلى مولد الهادى يضىء الكون موسمُهُ
هلموا أهل ذا النادى على قدم نعظمه

***

بدا تستقبل الدنيا به خيراً توَسمَه
يجملها تهلله ويحليها تبسمه
الى الرحمن جبهته ونحو جلالها فمه
وفى كتفيه نور الحق وضاح وروسمه
يتيم فى جناح الله يرعاه ويعصمُهُ
فمن رحم اليتيم ففى (رسول الله) يرحمه
يقوم به عن الأبوين (جبريل) ويخدمه
وترضعه فتاة البر من (سعد) وتفطمه
ويكفله موشى البرد يوم الفخر معلمه

***

نبى البر علمه وجاء به يعلمه
ابو الخلق عاطفة واسمحهُ واحلمه
وصبره لنائبة ومحذور يجشمه
لكل عنده فى البر حق ليس يهضمه

وفىٌّ الأهل والاتبا ع والمسكين يطعمه
سحاب الجود راحته وفى برديه عَيلمُه
وماالدنيا وان كثرت سوى خير تقدمه
يضىء القبر موحشه عليك به ومظلمه
وتغنمه اذا ولى عن الانسان مغنمه

***

نظام الدين والدنيا أتيح له يتممه
تطلع فى بنائهما على التوحيد يدعمه
بشرع هام فيه النـــاس هاشمه وأعجمه
كضوء الصبح بينه وكالبنيان محكمه
بيان جل موحيه وعلم عز ملهمه
(حكيم الذكر) بين الكتـب مظهره وميسمه (١)
وكم للحق من غاب رسول الله ضيغَمه
له الغزوات لاتحصى ولا يحصى تكرمه
تكاد تَقيدُ الاعــداء قبل السيف أنعُمه
أمين قريش اختلفت فجاءته تحكمه
صبيا بين فتيها اليه الأمر يرسمه
وان أمانة الانسـان فى الدنيا تقدمه

---

(١) الميسم الحديدة أو آلة يوسم بها أثر الوسم والميسم الجمال والحسن أيضا وهو المقصود هنا

ذكى القلب طهر من هوى وغواية دمه
عفيف النوم يصدق ما يرى فيه ويحلمه
وخلوته الى ملك على حلم يحلّمه
يفيض عليه من وحى فيفهمه ويفهمه
كتاب الغيب مفضوض له باد محكمه
مبين فيه ما يأتى وما ينوى ويعزمه
ويظهر كل معجزة لشانيه فيفحمه
فغادية تظلله وباغمة تكلمه
تروي الجيش راحته اذا استسقى عرمرمه
ويستهدى السماء حيا لسائله فتسجمه
وترسل سهم دعوته الى الباغى فيقصمه
تبارك من به أسرى وجل الله مكرمه
يريه بيته الاقصى ويطلعه ويعلمه
على ملك امين الله مسرجه وملجمه
معارجه السموات العلى والعرش سلمه
فلما جاء سدرته وكان القرب أعظمه
دنا فرأى فخر فكان من قوسين مجشمه
(رسول الله) لو يشقى ببابك من ييممه
وابن النار من بشر بسدته تحرمه
لواء الحشر بين يديك يوم الدين تقدمه

شفيعا فيه يوم يا وذ بالشفعاء مجرمه
ففي يمناك جنته وفى اليسرى جهنمه
أنا المرحوم يومئذ بدر فيك أنظمه
ولا مَنٌّ عليك به فمن جدواك منجمه
أينطق حكمة وحجا اسان لا تقومه
خلاصي لست أملكه وفضلك لست أعدمه
ثراك متى أطيف به وانشـــقه وألثمه
ففيه الخَلق أعظمه وفيه الخُلق اوسمه
سقاه من غير (الحمد) كوثره وزمزمه
ولا برحت ممطرة من الصلوات تلزمه

دول العرب

« وضع شاعرنا في دول العرب مذ جاهليتها الى أن أدال »
« الله منها فى الاسلام — ملاحم شعرية بين قصيد وأراجيز »
« وموشحات . ملاحم ملأها بالأدب العالى ، والخيال »
« السامى ، والنقد التاريخى . أودع فيها ما شاء من الأحاديث »
« والسير ، والعظات والعبر . وضعها وهو فى أسبانيا . ألم فيها »
« بالدول الاسلامية العربية جمعاء ومن بينها الاندلس . »

يافطنا بسير الكبار مفتتنا بغرر الأخبار
وطالب الجوهر فى التراجم ملتمس التبر من المناجم
جئتك بالبرجاس والمريخ [1] خصمين بين يدى التاريخ
قرنت خيرها تقى وعلما [2] بخيرها سياسة وحلما [3]
بل قرنت بينهما أيدى الغير [4] وافترقا على التلاقى فى السير
أبو الشهابين وهل يخفى القمر [5] والثاقب الرأى اللعوب بالزمر [6]
أوقيم الدين ولا أحابى وقيم الدنيا من الصحاب
إن ذكر الاباء جاآ «بالقمر» [7] جدا تمناه العتيق وعمر [8]

---

(١) (البرجاس) المشترى — معرب — يعنى بالبرجاس والمريخ عليا ومعاوية
(٢) (خيرها تقى وعلما) عليا (٣) بخيرها سياسية وحلما معاوية (٤) يريد بالغير ما شجر بين على ومعاوية (٥) أبو الشهابين على — والشهابان الحسن والحسين (٦) والثاقب الرأى معاوية (٧) عبد مناف وهو جدهما الذى يلتقيان فيه (٨) العتيق أبو بكر

اعتذار

قلنا فى فاتحة هذا الكتاب انه قد يجد فيه الأديب والمتأدب ضروباً من الآداب العربية والأفكار العصرية كما يجد فيه الحكيم عبرة وعظة نافعة والسياسى آراء فى السياسة صائبة وأنواعا من الدهاء مختلفة ولكن شاءت الأقدار أن يكون عملنا مبتوراً ووعدنا ناقصاً . وأن ينتهى مجهودنا عند هذا الحد فقد فوجئنا ونحن فى المرحلة الأولى من مراحل هذا الكتاب — بكتاب من الأستاذ وهيب دوس المحامى يرى لنا فيه بناء على طلب من حضرة صاحب السعادة حارس لغة القرآن «احمد شوقى بك» أن نقف عند هذا الحد من الكتاب وألا نتعداه وتوعدنا اذا نحن مضينا فى طريقنا

فلم يكن لنا بد من النزول على هذا الحكم . فأمسكنا مكرهين عن اتمام ما بدأناه مريدين وقد قصر هذا الانذار من الجهد فلم يمتد الى أبعد من هذه المرحلة

فاذا كان فى هذا الموقف ما يحمد فذاك ان ما اجتمع في هذا الكتاب انما كان من باب واحد وهو المدح النبوى ، فكأن روحانية النبى صلى الله عليه وسلم قد أبت أن يذكر معه فى هذا المقام سواه ليظل هذا الكتاب عليه ونضح من سناه

ونحن على هذا نحمد لحسان هذا العصر انه أتاح لنا فضل الأمل فى أفضل مأمول وهو محمد صلى الله عليه وسلم فعسى أن يتقبل هذا العمل بالقبول وحسبنا ذلك وكفى .

توفيق الرافعى